المبحث العاشر

الحوض في التصور الإسلامي

من الأشياء التي ينفرد بها الإسلام عن النصرانية واليهودية: الحوض الذي يشرب منه المؤمنون الذين عملوا الصالحات من أمة محمد ﷺ.

والحوض ثابت بالكتاب والسنة.

فمن الأمور السمعية الحوض [١] قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر :١-٢] وفي سبب نزول سورة الكوثر أورد الإمام ابن كثير حديثًا عن أنس بن مالك قال: أغفى رسول الله ﷺ إغفاءةً فرفع رأسه مبتسمًا. إما قال لهم وإما قالوا له: لم ضحكت؟ فقال رسول الله ﷺ: **«إنه أنزلت عليَّ آنفًا سورة»** فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر :١] حتى ختمها فقال: **«هل تدرون ما الكوثر؟»** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **«هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة عليه خيرٌ كثير، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد الكواكب، يختلج العبد منهم، فأقول يا رب إنه من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»** هكذا رواه الإمام أحمد [٢].

يقول الأشعري في الإبانة: **«وأنكرت المعتزلة الحوض، وروى عن النبي ﷺ من** وجوهٍ كثيرة، وروى عن أصحابه بلا خلاف» [٣].

والإمام الجويني في **«لمع الأدلة»** يذكر أن كل ما جوزه العقل وورد به الشرع

---

(١) المقاصد للسعد جـ ٢ ص ١٦٤ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٥٥٦ .

(٣) الإبانة للأشعري ص ٧٥ .

وجب القضاء بثبوته، فمما ورد به الشرع الصراط والميزان والحوض [١].

ولقد وردت الأحاديث الصحيحة عن الحوض وعظم قدره. روى الإمام مسلم بسنده عن أبي حازم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا، وليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم»** قال أبو حازم: فسمع النعمانُ بن أبي عيَّاش وأنا أحدثهم هذا الحديث فقال: هكذا سمعت سهلًا يقول؟ قال: فقلت نعم، قال: وأنا أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته يزيد فيقول: **«إنهم مني. فيقال إنك لا تدري ما عملوا بعدك. فأقول سحقًا سحقًا لمن بدل بعدي»** [٢].

والحديث يدل على أن رسول الله ﷺ يقف على الحوض، وسيرد عليه أقوام من أمته، ولا يستطيعون أن يقتربوا من الحوض أو يشربوا منه، فيسأل رسول الله ﷺ عنهم، فيقال له إنهم بدلوا وغيروا بعدك فوافق رسول الله ﷺ على بعدهم. وقد وردت أحاديث أخرى تبين عظم قدر الحوض.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو بن العاص: قال رسول الله ﷺ: **«حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من الوَرق** [٣]**، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبدًا»** [٤].

وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»** [٥]. ويقول كمال الدين بن الهمام: **«ومن السمعيات الكوثر. وهو حوض الرسول ﷺ، يكون له يوم القيامة، يرده الأخيار، ويذاد عنه الأشرار: وردت به الأخبار**

---

(١) لمع الأدلة لإمام الحرمين عبد الملك الجويني. تحقيق الدكتور حسين محمود ص ١١٢، ١١٣ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

(٢) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٣١٦ طبعة عيسى البابي الحلبي.

(٣) الفضة.

(٤) رواه الإمام مسلم جـ ٢ ص ٢١٧ .

(٥) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٩٩ .

الصحاح فوجب قبوله والإيمان به» [١]. وحول ورود الأحاديث الصحيحة عن الحوض فإن ابن حجر ينقل عن القرطبي قوله: **«مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله سبحانه وتعالى قد خص نبينا محمدًا ﷺ بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي، إذ روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين، منهم في الصحيحين ما ينيف على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك، مما صح نقله واشتهرت رواته، ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين أمثالهم، ومن بعدهم أضعاف أضعافهم وهلم جرا وأجمع على إثباته السلف وأهل السنة من الخلف»**[٢].

وقد اختلف العلماء حول الحوض. هل هو قبل الصراط أو بعده فيرى القرطبي في التذكرة أن الحوض قبل الصراط والميزان. وذهب آخرون إلى أنه بعد الصراط والميزان. وحجة القرطبي أن كون الحوض قبل الصراط مما يقتضيه الموقف يوم القيامة؛ لأن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم [٣]. وذهب القاضي عياض إلى أن الحوض بعد الصراط؛ لأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار؛ لأن ظاهر حال من لا يظمأ ألا يعذب بالنار [٤]. وأميل إلى أن الحوض بعد الصراط. لما رواه الإمام أحمد والترمذي عن أنس قال: سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي. فقال: **«أنا فاعل»** فقلت: أين أطلبك؟ قال: **«اطلبني أول ما تطلبني على الصراط»** قلت: فإن لم ألقك؟ قال: **«أنا عند الميزان»** قلت: فإن لم ألقك؟ قال: **«أنا عند الحوض»**[٥]. فهذا الترتيب من النبي ﷺ هو الذي نميل إليه؛ لأنه ما دام أن الذي يشرب منه لا يظمأ أبدًا فلا بد وأن يكون من المؤمنين الناجين من النار.

---

(١) المسايرة في علم الكلام ص ١٥٠ .
(٢) فتح الباري جـ ١١ص ٣٩٣.
(٣) التذكرة جـ ٢ ص ٣٦٢ .
(٤) فتح الباري جـ ١١ ص ٣٩٢، ٣٩٣ .
(٥) نفسه جـ ١١ ص ٣٩٢ .

عدم وجود الحوض في التصور النصراني واليهودي:

في المصادر التي رجعت إليها لم أعثر على ذكر الحوض في التصور النصراني أو اليهودي، وهذا مما جعلني أكتب في بداية البحث: الحوض مما اختصت به أمة محمد ﷺ.

* * *

obeikandl.com